

مكتبة مصر بالهداية تفقد  
عن مجموعة  
مكتبة مصر

# الأطعم

إعداد  
أمر سعيد السحار

الناشر  
مكتبة مصر  
٣ شارع كامل سعدى - الجيزة  
ت : ٥٩٠٨٩٢٠ - فاكس : ٥٩٠٧٥٩٣

انفض مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نقاش كثير ، أثبت فيه بالدليل  
الحق والبرهان الأكيد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه محمد ﷺ رسول  
الله إلى العالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وقدم البرهان والدليل على ذلك ،  
فملا قلوب وعقول الحاضرين بنور الإيمان .

وتفرق جمع الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد ملأ كل منهم قلبه وعقله علماً وفضلاً  
ونوراً ، وهداية وبراً ، وهم الحريصون أشد الحرص على ما يديه الرسول الكريم من  
رأى ، ويشرحه من أحكام ، ويفصله من غوامض الكتاب العزيز ومتشابهه .

وسار الثمان من الصحابة في جنح الظلام ، فكانوا كشبحين يقطعان ذلك الليل  
الحالك ، جاذبين مبرعى الخطأ .









كانا ساجدين في ذلك العالم التوراتي البديع الرائع ، الذي يأخذ بمجاميع القلوب ، وحنايا الأفتدة ، وقد وجد كل منهما في خياله وتصويراته للذة وممتعة ونعيم ، إذ كان يعرض ما كان في مجلس الرسول الكريم صورة صورة على مخيلته ، ويراجع ما حدث كلمة كلمة في تفتحة وحرص ، وخياله يوايه في سهولة ويسر ، وكأنه يعرض صوراً جديدة حية على شاشة يضاء ، لها في نفسه موضع القداسة ، ومكان التوقير والاحترام !!..

وكان منزلهما لا يزال بعيداً ، وقد هدأت الحركة ، وسكن الصوت ، وشمل المدينة الزحجة صمت غريب . وهبت نسمة رحيّة ، فكانت هي النسيم والحناءة واللمحة وسط ذلك الجو المأزوم ، الذي يضيق الأنفاس ، ويكاد من شدة وطائه يزهق الروح .. !  
وارتطمت قدام أحدهما فكانا يهوى مكثاً على وجهه ، لولا أن تداركه الله بلطفه فأخذ صاحبه بعضده قائلاً :

— باسم الله الذي لا يضرب مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ... ماذا يا أخي ؟ .. أهم يضيئك ؟ .. أم حزن يرهقك ؟ .. أم مال يشغلك ؟  
— لا شيء من هذا ، والحمد لله ..

— إذن فأى شيء والطريق مغد ، والصراط سوى لا عوج فيه ولا ضلال ؟  
— تفكير ، ولكن في أحب شيء ، وشغل ، ولكن بالآخرة البالية لا الأولى الفانية ، والله الحمد ..  
لعماليه وآلاته .

— لله درك ، أنعم بك من صاحب ، ولكن هل في إبداء ما تعنى ، وإظهار ما تظن مانع ؟  
— لا ، ورب الكعبة ، وهل عنك بكنم الحديث ويطوى الخير ، ونمّع السرّ مهما كان ؟







- إذن فهات ما عندك مشكوراً ، وستكون عليه بعون الله مأجوراً .

- إني مُحدثك على شريطة أن تعلن لي رأيك صريحاً .

- وذلك دأبى ، وعليه طُبع .

وترثنا قليلاً ، وأخذ صوت رقيق حليز ، يقصُّ على صاحبه الحديث :

- فى الواقع يا صاحبي ، أنى قد ضبقتُ ذرعاً ( بشابت بن قيس ) فإنه حين

يُكَلِّمُ رسولَ الله ﷺ ترتطمُ الكلماتُ فى حلقه ارتطاماً وكانَ صوته الرعدُ ، قوةً

وحدةً .. إني لم أسمع صوتاً كصوته جِهارةً وجفوةً .. إن له حنجرةً أعقِد أن الله لم

يخلق مثلها منذُ بدء الخليفة إلى الآن .. اعذرني يا أخى فأنا لا أقصدُ من هذا غيبة أو

لجراً وإنما أريدُ أن أقرّر حقيقةً واقعةً .. إنه يُفوتُ علينا الكثير مما ينبغي أن نعلم من

حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ويحفلُ لي أن الرسولَ صلواتُ الله وسلامه

عليه يتأذى بصوته ، ويضيقُ به ذرعاً ، ولولا ما طُبعَ عليه من كريم الخلال ، وحميم

الخيال ، لنهره وأذاه .. و .. وقاطعه صاحبه قائلاً :

- رويته يا صاحبي ، إني لا أرى رأيك ، ولا أحوالك إلا مغالياً قد ذهبَ بك

الشططُ مذهباً لا أفركُ عليه ، بل يجبُ أن تنزعَ عنه فى الحال ، فشابت بن قيس

يا أخى رجلٌ جليلٌ له عذرةٌ فى ارتفاعِ صوته ، فهو صوتُ جهورى قوئى التماسات ،

فماذا يفعلُ فى جهارته ؟ .. هذا مع أنه رجلٌ أصم ، وأنه يا صاحبي مهمل

رفعَ صوته يحفلُ إليه أن المخاطبَ لا يسمع ولا يعي ما يقول ،

فهو لذلك يحاولُ أن يُقنعَ نفسه بأن المخاطبَ قد

سمعه وفهم منه .. وابن قيس من الذين

لا أرى لهم مثيلاً فى الورع والتقوى

والزهد والإخلاص .. فما تراه فيه ..







وتأخذه عليه ، ليس بضائره ولا يصح أن يلام عليه بحال من الأحوال ..  
ولكن هذا الرأي لم يرضه فرم شفّيته وقال :

- مهما يكن من شيء فإني لا أنتقص من قدر ثابت ، ولكني أرى أنه من الخير له  
والرّسول الكريم ، ولنا جميعاً ، أن يعتزل مجلس رسول الله ﷺ ، أو يجلس ولا يتكلّم ،  
أو يتكلّم بصوت خفيض يحاول على قدر الإمكان تهدئته . وفي عقيدتي أن هذا لا  
يضيع عليه شيئاً ما ، بل إنني على استعداد لأن أعيد عليه كل ما يقال في مجلس  
الرّسول ﷺ بصوت يسمعه بوضوح ، وأكرّزه مبالغاً في التكرار حتى يفهمه في  
يسر وسهولة ، وأنا بذلك زعيم .

...

وحقاً لقد كان رسول الله ﷺ يتأذى بصوت ثابت أحياناً ، وكان ثابت نفسه يشغره  
بشيء من ذلك ، ويحاول أن يخفيض من صوته ، خشية أن يؤذي الرّسول الكريم  
وصحابه ، ولكنه كان لا يستطيع ، وكان كذلك لا يستطيع البعد عن هذا المجلس  
الرفيع .. وكان يحس إحساساً غامضاً بخشاة وبرهية ، ويحاول أن يصرفه عن قلبه  
وفكره ، ولكن دون جدوى .. لقد كان يشعر أن أمراً لابد أن ينزل فيه شيء من  
القرآن ، ولكنه إذا نزل فيه قرآن فينال منه . وسيخرج كبرياءه .. ترى ماذا يفعل إذا  
وقع ذلك ؟ لا .. يجب ألا يبقى الحوادث .

وكانما أراد الله أن يحقق هذا الظن ، أو يصدّق هذا الإحساس الغامض لما نزل  
قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ  
وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ١١

وقراها الرّسول الكريم ، وحفظها المسلمون ، وقال ابن عباس :









- « نزلت في ثابت بن قيس ، فهو جهوري الصوت ، وفي أذنه وقر ويراة حادة ..  
وربما كان يكلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيأذى بصوته .. » .

وسمع ثابت هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ .. ﴾ فارتاع واضطرب ،  
ونفذت إلى قلبه كما ينفذ السهم المريش ، ووقعت على رأسه وقوع الصاعقة ،  
وصار يسمعها تردّد في أذنه في قوة وجبروت ، فهو إذا قام رثت في أذنيه ، وهو  
إذا سار رثت في أذنيه ، يسمعها في عنف وقوة ، فيكاد يصرخ من الهول والأنسى  
واللوعة . هو مزمّن بقضاء الله وقدره ، وهو يعلم أن هذا مُقتَرَنٌ عليه لا محالة ، وأنه  
لا يملك أن يدفع الضر عن نفسه ، كما لا يملك جلب الخير لنها ، وهو يتمنى أن  
يوهب له أذنان حادثتان مرهفتان ، لنلا يقرته شيء من مجلس الرسول الكريم ، بل  
يتمنى أن يكون بدنه كله أذناً مصغية مصيعة ، ولكن كل هذا من الله .

إذن ماذا يفعل ؟ .. هل يهجر الناس ؟ .. ويحتل رسول الله ﷺ ؟ .. أم يجلس في المجالس  
كالحجر المهمل الذي لا حراك به ، ولا قيمة له ؟ .. إن هذا في رأيه الحل الموفق .

ثم ماذا يكون جزاؤه ؟ .. لقد آذى الرسول الكريم طوال ذلك الزمن قبل أن  
تنزل الآية الكريمة ، ويحبر الله عن ذلك ، أو في الواقع ينهى عنه معلناً أن من رفع  
صوته فكأنه آذاه .. آذى من ؟ آذى رسوله وحيته .. آذى صفته وبيته .. ويا ويح  
ثابت .. ! ثكلتك أمك يا ثابت .. !!

وهكذا أخذ يُردّد هذه الكلمات في ثورة داخلية ، ونقمة مخبولة . ويحدث بها  
نفسه ، داعياً عليها بالويل والبور ، وعظائم الأمور ، وهو أشد ما يكون ضيقاً  
وكرهاً ، وغماً وهمّاً ، حتى كاد يغمى عليه !



﴿ وَلَا تَجْزُوا لَهُ  
بِالْقَوْلِ فَجْزِرَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنْ  
تَحْبِطَ أَعْمَالُهُمْ وَأَنْتُمْ  
لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

ووقف حيران أسفا دامع العين ، واجف القلب ، مرتجف الفؤاد يقلب يديه في  
حزن بالغ ، وأسى عميق ، وقد جمالت في نفسه عواطف مضطربة لائبة ، حاول  
كتمانها والتغلب عليها ، ولكنها استبذت به استبذاذا ألما . لقد تدخل الشيطان  
أخيراً ، وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم .. ووجد في هذه الحال فرصته  
محسباً يمكنه أن يصل منه إلى ما يريد ، وينزع فيه إلى هذه النفس الأبية الفاضلة التي  
لا تلين ، هذه النفس التي طالما حاربت ، وطعنت في الصميم طعنات نجلاء ، وهدمت  
آماله هدماً ، وقوضت أحلامه وأحلام أتباعه وصحابته تقريظاً .

علام تحزن يا ثابت ؟ لماذا تنقم من نفسك ؟ إن كسل من يتأذى بصوتك هو  
الحاطي لا أنت ، ولماذا خلقت هكذا أصم الأذنين يضايقك ذلك الوقوف فيهما إلى حد  
كبير ؟؟

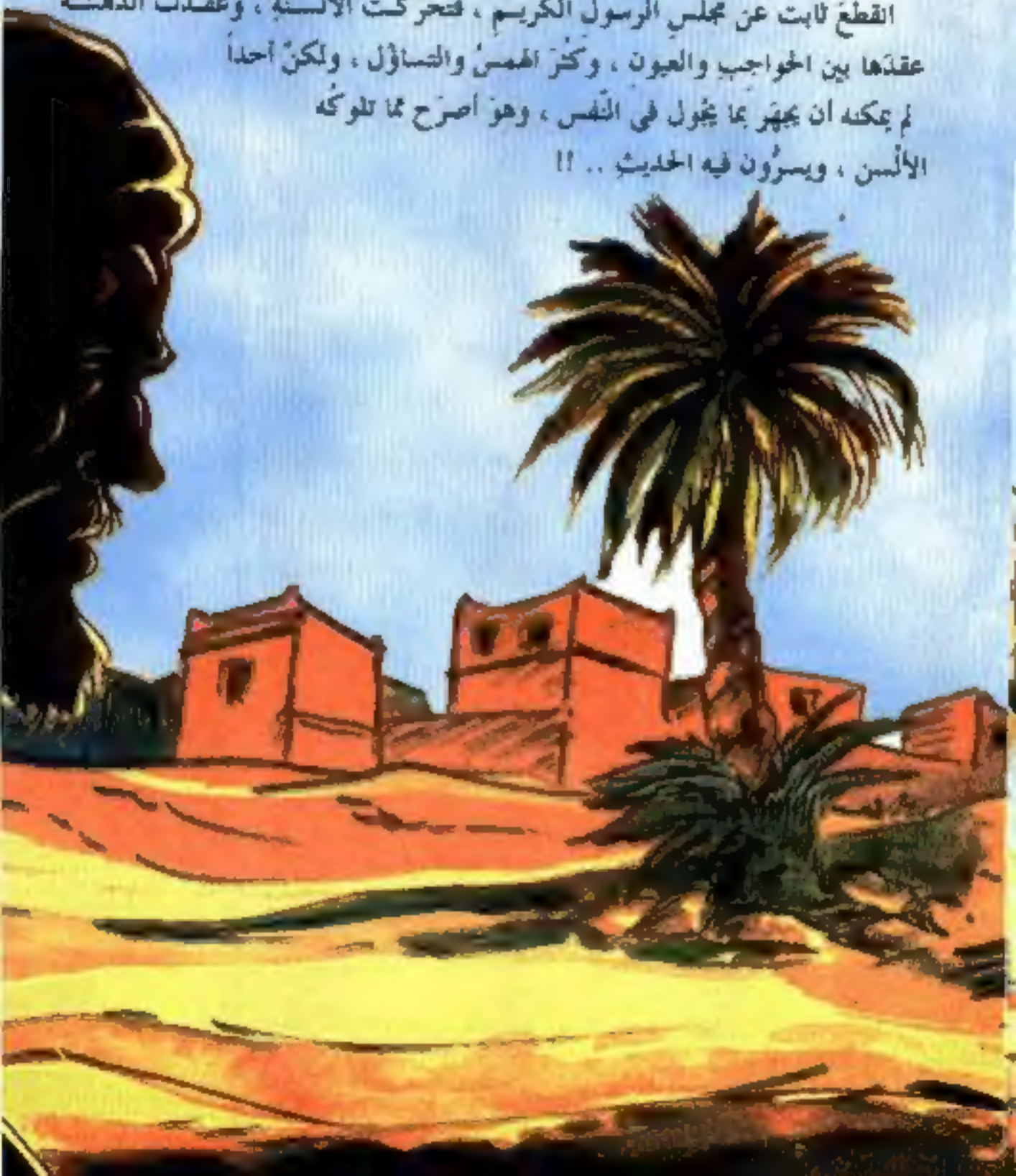
ما هذه الأوهام التي تجرؤون ورائها ؟ وما هذا الذي سمونه الرضاء بالقلب كيفما كان ،  
وحشماً أطلق ١٢ .. فكراً ثابت ، إنك في عمرة من اثم والهمم فانطلق إلى الرحابة والطلاقة  
والنعم .. كن كاتبا عسى ساجداً في اللذة ، لاهياً في الحياة .. دعك من حياة الحدة والنصب  
والنصب التي يحياها هؤلاء المؤمنون . إن الحياة ساعة من ساعات الفرح والسرور ، فلماذا  
تبقى هكذا قائماً على نفسك داعياً عليها بالويل واليبور .. محالفاً .. نر .. اعصي .. حطّم  
الأغلال والأصفاد والقيود .. تخلّ من هذه العهود وتلك المواعيد التي كتبت نفسك بها ،  
ورضيت بهذا السخيف طائفاً مختاراً .. ها ..

وانته ثابت إلى نفسه عندما بلغ الشيطان منه هذا الحد ، واستعاذ بالله من  
الشيطان الرجيم ، وفاضت عينا بالدموع .. دموع التلم والتوبة من هذه الغفلة التي  
لزع إليه فيها الشيطان ، عدوه اللدود ..



ووجد في التمعق لذة ، وفي التلم متعة فأخذت إليهما ، وهو عاجز عن تحديد موقفه تمامًا ، ولكنه عزم أخيرًا ، أن يعزل الصحابة والرسول حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .. !!

القطع ثابت عن مجلس الرسول الكريم ، فحركات الألسنة ، وعقدات الدهشة عقدتها بين الحواجب والعيون ، وكثر الهمس والتساؤل ، ولكن أحداً لم يمكنه أن يجهر بما يقول في النفس ، وهو أصرح مما تلوّكه الألسن ، ويسرون فيه الحديث .. !!





- ١٤ -

وتفقد رسول الله ثابتاً ، وهو الذي كان يلزم مجلسه فلم يجده ، فتعجب لذلك ،  
وسأل عنه ، فأخبر أنه بخير ، وكل ما هنالك أنه أثر الغزاة والخلة إلى نفسه ..  
وجاء رسول الرسول ﷺ يستقيم ثابتاً ، فركض قلبه بين جوانحه ، واضطرب  
في حيرة ودهشة ، وطلع فزادة وشعر كأنها خلع من مكانه ، واستبد به الخوف  
والهلع ، ولكن الرسول الذي أرسله إليه رسول الله ﷺ طمأنه ، وأخبره أنه عليه  
الصلاة والسلام مشفق به ، حذب عليه ، يوذ رؤيته ، ليطمئن عليه ، ويأمن به ..  
وهنا أفرخ روعه ، ثم فارقة الخوف رويداً رويداً حتى ملك زمام نفسه ، وتوكل  
على الله ..

ولما مثل بين يدي رسول الله ﷺ ، سأله قائلاً :

— لماذا اعتزلت يا ثابت ، وأخوت البعد عنا ؟!

فقال ثابت في حزن وأسى :

— يا رسول الله ، لقد أنزلت إليك هذه الآية ، وأتى رجل جهم الصوت ، فأخاف

أن يكون عملي قد خبط .. !!

فقال ﷺ في حنان وعطف :

— لست هنالك ، إنك بخير ، وتموت بخير ، وإنك من أهل الجنة .. !!

...





جمال محمد

وسمع الصحابة هذه البشرى الطيبة من رسول الله ثابت ، فمتى كلُّ منهم لو كان هو ثابتاً .. لقد ضيق جزاءه مُقلعاً .. فهيناً لك أيها الأصمُّ العظيم ، الذي خطي باهتمام رسول الله وعنايته ، ونال من الله جزيل الأجر ، وعظيم الثواب .. وكان في مجلس الرسول حينذاك صحابيان ، لما سمعا ما قال نظرا أحدهما إلى صاحبه وكأنه يقول :

- ألم أخبرك من قبل ونحن في الطريق إلى دارنا بعد الصراخ من مجلس رسول الله ، بفضل ذلك الرجل ؟ .. مع ذلك فقد أصردت على رأيك فيه ، ولكن الله أظهر الحق أعيراً ، لا يقبل ريبة ولا شكاً ..  
وتخاذل الآخر أمام نظرات صاحبه وكأنه يعرف بخطأ نظريته وخطئها ، وفي اتخاذله معنى الإنابة والعزاة والندم .

